المعروفة وأسماءها في اللغات المختلفة وأشتقاق أسمائها ومواطن هذه العقاقير في البلاد المختلفه وتخزينها وتأثيرها الدوائي ومقدارها وكيفية زرعها وجنيها.

ذكرنا حتى الآن الأعلام المسلمين في مشرق بلاد المسلمين بالأحرى الذين أتوا من العراق وما والاها من الشرق في فترة تعتبر مبكره في أزدهار الحضاره الاسلاميه العربيه وسنتابع ذكر هؤلاء الرواد في حضارة الانسان الذين اتوا بعد هؤلاء المذكورين أو أنهم عاشوا وأشتهروا في غير تلك البقاع التي ذكرناها في الدوله الاسلاميه الممتده، ومشاهير الصيادله والأطباء الذين سنذكرهم فيما يلي إما أن يكونوا قد نشأوا في غير العراق أو أنهم أتوا في مراحل تاليه للأعلام الذين سبق أن ذكروا.

سعيد بن عبد ربه : (٨٦٠ - ٩٤٠م)

وهو أبو عثمان سعيد ابن ابراهيم بن محمد بن عبد ربه بن حبيب الاندلسي - ابن أخ صاحب العقد الفريد أحمد بن محمد عبد ربه «كان طبيبا نبيلا شاعرا أديبا»، وله في الطب رجز أحسن فيه دل على تمكنه من العلم ودرايته بمذهب القدماء وكان مذهبه في مداواة الحميات أن يخلط بالمبردات شيئا من الحوار (ابن جلجل) له كتاب هو «كتاب الدكان» الذي يتألف من سبعة عشر بابا يتضمن طرق تحضير الكثير من الأشكال الصيدلانية.

ابن الجزار : (٩٢٠ - ١٠٠٥م)

هو أبو جعفر أحمد إبن ابراهيم المعروف بابن الجزار - وقد ذكر أنه توفى عام ٣٦٩هـ وأنه كان في أيام المعز لدين الله الفاطمي - ويقول عنه ابن جلجل بأنه «قيرواني الدار مسلم النحله طبيب ابن طبيب، وله في الطب تواليف عجيبه»، ألف ابن الجزار عددا من الكتب لعل أشهرها:

زاد المسافر وقوت الحاضر :

يبحث في الأمراض المختلفة وفي علاجها مع ذكر لكيفية التركيب والأستعمال.

طبيب الفقراء والمساكين :

وهو كتاب ألف على نمط كتاب الرازى «من لا يحضره طبيب» وهو يتناول تلك الأدوية التي يمكن أن يأخذها المرضى بدون وصف الطبيب وله عدد من المؤلفات الأخرى.

الزاهراوي : (٩٣٦ - ١٠١٣م)

هو أبـو القـاسم خلف بن عباس الزهراوى الاندلسي ويكنى كذلك بالانصارى (يعود أصله إلى المدينه المنوره) ولد بالزهراء بالقرب من قرطبه في الاندس هذه المدينه التي بناها عبد الرحمن الناصر وقد طبب الخلفاء في الأندلس وهو أشهر الاطباء العرب شهـرة بالجراحة علاوه على شهرته في التطبيب وتحضير الأدوية، ويقول عنه ابن ابى اصيبعه «كان طبيبا فاضلا خبيرا بالأدوية المفرده والمركبه جيّد العلاج».

وأشهر كتبه «التعريف لمن عجز عن التأليف» الذي يقع في ثلاثين مقاله، وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية ونال الكثير من الشهرة وهو موسوعه كبيرة، فكل مقاله بحجم كتاب مستقل، والمقالات الأولى والثانية تشمل مقدمة عن الكتاب وتعريف الطب وفي تشريح العـظام والمفـاصـل ووصف الاعصـاب الـدمـاغية والعـين والأذن والأنف والاحشاء، والمقالات الباقية ما عدا المقاله الثلاثين تختص بالأدوية وتحضيرها وتتميز المقـالتـان الثـامنـة والعشرون والتـاسعـة والعشرون بأهمية خاصة لأن الأولى تتعلق بالأحجار المعدنية وغسلها واحراقها وتحضير العقاقير النباتية والحيوانيةوطرق تحضيرها وحفظها وفسادها وتبييض الشمع العسلي وغيرها، بينما تبحث المقالة التاسعة والعشرون بتسمية العقاقير باللغات العربية واليونانية والفارسية والسريانية والبربرية والأدوات التي يستعملها الصيدلي والموازين وعد أعمار الأدوية سواء كان منها المفرد والمركب.

المقالة الثلاثون :

وهي التي ذاع صيت الزهراوى بها كجراح ماهر بحيث طغت على بقية علمه من تطبيب وصيدله، فعلى الرغم من أن أكثر الكتاب يبحث في الأدوية وتركيباتها إلا أن هذه المقـالـة هى التي ميزت الزهراوي - في أول ما كتب عن الجراحة بشكل يزدان بالصور، فهى تبحث الكي وطرقه والشق والبتر والفصد وسائر العمليات الجراحية، وبه جزء عن أمراض النساء والولادة وطرق جبر الكسور والخلع.

ابن جلجل :

هو أبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل المكنى بأبي أيوب من قرطبه - ولد عام ٩٧٦م وتختلف الروايات في العام الذي توفي فيه هل هو ٣٧٢هـ أو أنه مات بعد عام ٣٨٤هـ - وتذكر المصادر وفاته في سنة ١٠٠٩م. ألف عددا من الكتب لعل أشهرها كتاب «طبقات الأطباء والحكماء» وهو كتاب يحكي سيرة الأطباء الذين سبقوه

بدأً من اليونان ومرورا بأطباء الاسكندية الى الأطباء الذين كانوا في عصره، ونحى نحوه عدد من المؤلفين من بينهم ابن أبى اصيبعه في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء».

ابن وافد : (٩٩٨ ـ ١٠٦٨م)

أحد امراء العرب في الاندلس ـ وقد عاش في طليطلة وتولى الوزارة فيها وألف كتابا في الأدوية المفردة رجع فيه الى كتب جالينوس وديسقوريد.

ابن جزله البغدادى :

هو أبو على يحيى بن عيسى بن على بن جزله البغدادى ـ كما يدل عليه أسمه عاش في بغداد ويقال أنه كان مسيحيا ثم أسلم ـ صاحب سعيد العشاب ودرس معه ـ كما ألف عددا من الكتب منها «منهاج البيان فيما يستعمله الانسان» الذي ذكر جميع الأغذية والأدوية مرتبة بشكل جيد مع وصف خصائصها وفوائدها وهو كتاب حسن التبويب والتنسيق كما أشتهر له كتاب آخر هو «تقويم الابدان في تدبير الانسان» في تدبير الأمراض وأعراضها وأسبابها ـ وقد توفى عام ١١٠٠م على الأرجح.

سعيد العشاب : (١٠٤٤ ـ ١١٠٣م)

وهو أبو الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسن ـ طبيب عاش في بغداد وعمل في البيمارستان العضدى، ألف عددا من الكتب أشهرها «المغني في تدبير الإمراض ومعرفة العلل والأعراض» ذكر فيه الأمراض وأسبابها وأعراضها والأدوية الناجعة فيها وقد صاحب ابن جزله البغدادى.

أمين الدولة ابن التلميذ : (١٠٧٣ ـ ١١٦٤م)

وهو أبو الحسن هبة الله بن أبى العلاء صاعد بن ابراهيم ـ كان ابوه صاعدا طبيبا في بغداد ـ وقد أخذ العلم عنه وسافر إلى بلاد فارس وخدم في البيمارستان العضدي كرئيس للأطباء فيه ـ ألف اقرباذينا حل محل الأقرباذين الكبير لسابور بن سهل وقد أشتهر باسم ابن التلميذ.

ابن زهر : (١٠٧٣ ـ ١١٦٣م)

هو أبو مروان عبد الملك ابن زهر ـ عاش في اشبيلية في بيت أشتهر أفراده بممارسة

الطب ولعل أشهر كتبه هو «التيسير في المداواة والتدبير» وهو موسوعة طبية من ثلاثين مقالة فيها عد الأدوية وتركيبها وحفظها وقد ذكر طريقة صنع الأقراص بعد وضعها في قوالب ثم حفظها ـ ومن انجازاته الأخرى وصفه للتغذية الصناعية عن طريق الفم أو المستقيم ويقال أنه وصف الأورام الخبيثة.

ابن رشـــد :

عاش في مدينة قرطبة، وعاصر ابن زهر وتتلمذ على يديه ـ أشتهر بالفلسفة والمنطق والفقه أكثر من شهرته كطبيب.

ابن ميمون : (١١٣٥ ـ ١٢٠٤م)

هو أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي ـ من يهود قرطبه ـ درس وتتلمذ في العلم والفلسفة ـ ورحل عن قرطبة الى مراكش بعد سقوط قرطبة بأيدي الموحدين ثم أستقر أخيرا في مصر حيث مارس الطب في فسطاطها وسرعان ماذاع صيته ـ مما قربه من سلطان مصر الناصر صلاح الدين فأصبح طبيبا لأبنه الملك الأفضل، وكان متبحرا في الدين اليهودى وفي الفلسفة اضافة الى العلوم الطبية والصيدلية ألف ابن ميمون عددا من الكتب في الطب لعل أشهرها فصول موسى في الطب، وكتاب «السموم والمتحرز من الأدوية القتاله» وكتاب «تدبير الصحة» «وشرح أسماء العقار» الذي نشره العالم مايرهوف.

ابن المطران :

هو موفق الدين الحكيم الدمشقي ـ المتوفي عام ١١٩١م ـ ولد عن أب طبيب مشهور في دمشق ـ عمل في بلاط الملك صلاح الدين الأيوبي وكان يقوم بالعمل في البيمارستان النورى مدرسا وطبيبا الى جانب عمله كطبيب مقرب في البلاط ـ ومن أشهر ما ألف من كتب «بستان الأطباء وروضة الألباء» جعله بشكل نصائح ووصايا ونوادر طبيه وقد أسلم على يد السلطان صلاح الدين في آخر أيامه.

ابن البيطار : (٥٧٥ ـ ٦٤٦هـ / ١١٩٧ ـ ١١٤٨م)

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد ضياء الدين الأندلسي المعروف بأبن البيطار ولد في مالقا أحد موانىء الأندلس ـ تلقى تعليمه على يد ابن العباس النباتي وهو من المشهورين في النبات، كان يجمع النباتات وينتقيها، وقد درس كتب ديسفوريد

وجالينوس والرازى والزهراوي وغيرهم، هاجر الى شمال أفريقيا لدراسة النباتات ومر على مراكش والجزائر وتونس ثم توجه لمصر حيث عينه سلطان مصر الملك العادل الأيوبي رئيسا للعشابين وعندما مات الملك العادل لحق ابن البيطار بابنه الملك الصالح الذي يقيم في دمشق، وقام بدراسة النباتات الموجودة في سورية ورحل الى تركيا باحثا عن النباتات.

ألف ابن البيطار عددا من الكتب أهمها «الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» والمغني في الأدوية المفردة «وشرح كتاب ديسقوريد».

ويعتبر الكتاب الأول هو الجامع من أفضل المؤلفات وأهمها عن النباتات الطبية في الحضارة الاسسلامية العربية وذكر فيه ألفا وأربعمائة عقار ونعين منها الكثير أنها يذكر لأول مره (٣٠٠ ـ ٤٠٠ عقار)، وقد رجع في كتابه الى عدد من السابقين من اليونان والعرب مثل ديسقوريد وجالينوس وأحمد القافقى، ذكر ابن البيطار الأغراض التي دعته لتأليف هذا الكتاب ومن هذه الأغراض: استيعاب القول في الأدوية المفردة والأغذية المستعملة، وتوخى صحة النقل والترتيب حسب المعجم والتنبيه على الأدوية التي وقع فيها الوهم والغرض الأخير وهو ايجاد أسماء العقاقير بسائر اللغات كالعربية واليونانية والبربرية واللاتينية (لغة أهل الأندلس مشتقة وقريبة منها).

تتلمذ على يد ابن البيطار الطبيب المشهور والمؤرخ ابن ابى أصيبعه.

ابن النفيس :

هو علاء الدين بن أبى الحرزم القرشى ـ ولد في دمشق ـ حيث درس في مدرسة الدخوار ثم ذهب الى مصر فأقام بالقاهرة وعمل طبيبا ورئيسا لأطباء البيمارستان المنصورى وتوفي هناك عام ١٢٨٨م ـ ألف ابن النفيس عددا من الكتب القيمة وتحتوى على الكثير من الشروح والتعليقات والتصحيحات على من سبقوه ومن عملوا بالمهنة الطبية بدءا بابو قراط وانتهاءا بابن سينا ـ فقد شرح كتب أبو قراط كشرح تقدمة المعرفة وشرح فصول أبو قراط في سبع مقالات ومن كتبه:

شرح تشريح القانون لأبن سينا :

وفيه عارض ابن النفيس ابن سينا في الكثير من آرائه حول القلب والدم فهو يُخطِّىء ابن سينا في قوله: بأن القلب يتغذي من الدم الموجود في جوفه ـ حيث يقول «قوله

ليكون له مستودع غذاء يتغذى به، وجعله الدم الذي في البطين الأيمن منه يتغذي القلب، لا يصح البته، فإن غذاء القلب إنما هو من الدم المار فيه من العروق المارة في جرحه» كما يعترض ابن النفيس على قول ابن سينا «بأن للقلب ثلاثة بطون ويصف ذلك بأنه كلام لا يصح، فإن القلب له بطنان فقط: أحدهما مملوء من الدم وهو الأيمن والآخر مملوء من الروح وهو الأيسر ولا منفذ بين هذين البطنين البته» والا كان الدم ينفذ الى موضع الروح فيفسد جوهرها والتشريح يكذب ما قالوه «ويقول في وصف الرئة: أما حاجة الرئة الى الوريد الشرياني فلأن ينقل إليها الدم الذي قد لطف وسخن في القلب ليختلط في خلال الرئة بالهواء ويخرج به فيكون من الجمله ما يصلح لأن يكون روحا اذا حصل ذلك المجموع في التجويف الأيسر من القلب وذلك بايصال الشريان الوريدي لذلك المجموع إلى التجويفف وكذلك تحتاج الرئة أن تكون متخلخلة لتكون كثيرة المسام واسعتها والغرض أن تمتلىء الفروج التي في جرحها هواء يخالط الدم فيها ويحدث من مجموعها جرم يصلح لأن يستحيل في القلب روحا».

وبذلك يكون ابن النفيس قد حقق انجازا عظيما بكشفه للدوره الدموية الصغرى فقد فطن ابن النفيس الى أن اتجاه الدم ثابت، وأن حركته ليست حركه مد وجزر كما كان يظن سابقا أو قال بأن الدم يمر في تجويف القلب الأيمن الى الرئة ليخالط الهواء ثم يعود إلى التجويف الأيسر للقلب كما يتبين ذلك مما سبق من شرح ابن النفيس.

كما سبق في وصفه للأوعية الشعرية والمنافذ المحسوة بين الأوردة والشرايين ومن كتبه الأخرى: موجز القانون لابن سينا، الموجز في الطب، شرح الفصول لابو قراط، شرح تقدمه المعرفة لابو قراط، كتاب في الأدوية المفردة، جامع الدقائق في الطب، رسالة في أوجاع الأطفال، كتاب الشافي.

ابن ابن أصيبعه:

هو موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفه بن يونس الخزرجي المعروف بابن ابى اصيبعه - وهو من عائلة أشتهرت بالتطبيب والمداواة والعمل في خدمة الأيوبيين وبصوره خاصة السلطان صلاح الدين الأيوبي - الذي خدمه جد ابن أبي اصيبعه ورحل معه الى مصر وتعلم ولداه القاسم ورشيد الدين على الطب ونبغا فيه فأما والده القاسم فقد تمرس طبيبا كحالا وتتلمذ على يد موفق الدين البغدادى وتتلمذ بادىء ذى بدء على يد والده وداوم في البيمارستان النورى طالبا للعلم على يد الأطباء العاملين

في هذا المستشفى مثل: مهذب الدين الدخوار، كما تتلمذ في القاهرة على يد ابن البيطار، كما سبق وذكرنا ـ وقد عمل فترة في بيمارستانات القاهرة (الناصرى) وعاد أخيرا الى بلاد الشام ليعمل طبيبا وأستاذا يدرس الطب، وقد أصبح طبيبا لأمير صلخد ومات هنالك عام ١٢٨٩م الموافق ٦٦٨هـ عن عمر يناهز السبعين عاما.

وأشهر كتاب له هو «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» الذي ألفه عام ٦٤٣هـ في مدينة دمشق برسم أمين الدوله غزال وزير الملك الصالح بن الملك العادل، وما زال يجمع في كتب الأخبار وطبقات الأطباء ويزيد في كتابه ويغير ما وجد فيه من الغلط حتى وفاته ـ وقد قيل ان تلامذته أو نساخ كتابه قد زادوا في مسودته بعد وفاته.

وقد أستفاد ابن ابى اصيبعه من بعض الكتب السابقة في هذا المجال ككتاب ابن جلجل ـ ومما يعطى قيمة كبيرة لمؤلفه أن الكثير من أخبار الاعلام وكتبهم قد فقدت بعد فترة من موت أصحابها ـ لذا فإن آثارهم وانجازاتهم كانت ستندثر لو لم يقيض الله لها مثل هذا الطبيب المؤرخ، قسم كتابه الى خمسة عشر بابا مبتدئا بمقدمه عن صناعة الطب ثم المبتدئين بهذه الصناعة ثم أطباء الأغريق من نسل أسكولاب وبعدها أبو قراط وتلامذته وحتى أطباء العجم والهند وبلاد المسلمين.

مهذب الدين الدخوار :

توفى سنة ٦٢٨هـ ـ وهو أبو محمد عبد الرحيم بن على ـ المشهور بالدخوار، وقد عمل كطبيب ذائع الصيت ورئيس الأطباء البيمارستان النوري الكبير بدمشق ـ تعود شهرته الى ممارسته للطب وتدريسه لهذه الصناعة والى تلامذته المشهورين أكثر من كونه مؤلفا، وقد ذاع صيته نطاسيا بارعا وتتلمذ على يده ابن النفيس وابن ابي اصيبعه.

ابن القف :

هو أمين الدولة ابو الفرج بن موفق الدين بن يعقوب بن اسحاق ابن القف ـ الذي عاش في بلاد الشام وتوفي في دمشق عام ٦٨٥هـ الموافق ١٢٨٦م بعد أن عاش نيفا وخمسين عاما، وقد لازم ابن القف ابن ابي اصيبعه وتتلمذ على يده وساعده كون والده الخطاط صديقا لابن ابي اصيبعه ـ نبغ ابن القف في الجراحه فألف مجموعه من الكتب منها «العمده في صناعة الطب» وبعض الكتب الأخرى الشارحة للقانون ولغيره من كتب السابقين.

كوهين العطار :

هو: أبو المنى بن أبي النهر ـ والملقب بكوهين العطار ـ عاش في مصر في القرن الثالث عشر الميلادي ـ وأشتهر بكتابه «مناهج الدكان ودستور الأعيان في تركيب الأدوية النافعة للأبدان» ـ وهو يتألف من خمس وعشرين بابا تتناول الأدوية المعروفة آنذاك من معاجين وأقراص ولعوقات وحبوب ومراهم وأدهان وأكحال وضمادات وهو يذكر في الباب الحادى والعشرين قائمة للأدوية المفرده بترتيب أبجدى ـ يقول عن هذا الكتاب انه اراد أن يقدم للصيادله كتابا أوسع من الدستور البيمارستانى لداود ابن البيان ـ والذي كان منتشرا في بيمارستانات بلاد مصر وسوريا والعراق ويذكر كوهين أنه جمع في كتابه عدة اقرباذينات مختارة مما كان شائعا في ذلك الوقت مثل: الارشاد لابن جميع والملكى المجوسي، والمنهاج لابن جزله البغدادى واقرباذين ابن التلميذ، وغيرها اضافة ما نقله عن ثقات العشابين ومما أمتحنه بيده وأخذه عن ثقه وجربه.

داود الانطاكى :

هو الشيخ داود بن عمر الضرير الانطاكى ـ ولد بانطاكية بسورية في القرن العاشر الميلادى ـ وعلى الرغم من فقدان بصره فقد زاول مهنة الطب ودرس الطب في البامارستانات كرئيس للأطباء في القاهرة ـ وقد أبتدأ بدراسةالاقرباذين مثل أبو قراط وجالينوس وديسقوريد وابن سينا والرازى وغيرهم ـ ألف كتابا ضخما بأسم «تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب» والذي عرف بأسم «تذكرة داود» ـ والذي يشمل مقدمه ثم أربعة أبواب ونهاية، ويذكر المادة الطبيه في الباب الثالث ـ حيث ذكر أكثر من ألف وسبعمائة عقار، وكان من رأيه أن الطب من علوم الملوك يتوارث منهم، وقد عوتب أبو قراط في بذله للأعراب ويقول «ولعمري لقد وقع لنا مثل هذا، فاني حين دخلت مصر ورأيت الفقيه الذي هو مرجع الأمور الدينية يمشي الى أوضع يهودي للتطبيب فعزمت على أن أجعله كسائر العلوم يدرس ليستفيد به المسلمون».

وهو يستعرض المؤلفين للعلوم منذ ديسقوريد وحتى القريبين منه مثل: أبن جزله وابن البيطار، وكان نقده بناءا وأمينا في عرض آرائهم، ومما لاشك فيه أن داود كان معلما في صناعة الأدوية.

تنظيم المهن ونظام الحسبه في الحضارة الاسلامية العربية :

من تتبعنا لتطور الحضارة الاسلامية العربية نرى أنهامع أنبثاق الاسلام العظيم بدأت وقد أنصرف القوم عن تعاطي المهن الطبية وان فاز ممارسوها من الأقوام الأخرى بالتقدير والاحترام، ومع ازدهار هذه الحضارة وتقدم الحياة فيها كثرت الأنشطة الحضارية والأعمال والمهن والناس كما خلقهم الله منهم الأخيار وكثير منهم دون ذلك مما أتاح مجالا للكثيرين من ضعاف النفوس أن يعيثوا فسادا بالغش والتدليس والدخل واللعب بعقول الناس بمعسول القول، فمع ارتقاء الاسباب الحضارية أصبحت الحاجة ماسه الى نوع من الرقابة على الأسواق والباعة والتفتيش على ذوي المهن لتمييز الغث من الثمين، ومن المعروف أن الدين الحنيف يحض على التناصح ويوصي به ولا يقتصر ذلك الأمر على فئه من الناس دون غيرهم ـ لهذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبا على كل مسلم وهو ليس وظيفه بل هو عمل تطوعي يقوم به المسلم الملتزم، وقد تطور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع تطور المجتمع الى عمل تكليفي يخصص لفئه من الناس ـ تلك الفئة التي كان يجرى انتقاؤها في البداية على أسس دينية وأخلاقية دون النظر الى ما يتحلون به من صفات الخبرة والعلم والفهم بالأمور التي يفتشون عنها، وهكذا كانت مهمتهم تقتصر على اسداء النصح والحث على الاخلاص في المعامله والعمل والتعامل مع الناس بالأمانة وبالحسنى وترك الغش والخدام والتدليس، وكانت مهمة ولي الأمر أن يعين محتسبا واحدا أو أكثر ممن يراه أهلا للقيام بهذه الوظيفة، وللمحتسب أن يتخذ الأعوام لمساعدته في المراقبه والنهي عن المنكر وعن الغش، ولا يحق للمحتسب أن يقاضي الناس ولكن عليه الموعظة وحمل الناس على الأمانة وتبصيرهم بالعقوبة في الدنيا والآخرة، فاذا لم يرعو المخطىء فانه يوصل الأمر الى القاضي الذي يملك وحده حق الحكم بالعقوبة، ومع تطور المجتمع وازدياد حاجاته وتعدد المهن المختلفة ومن بينها المهن الطبية أصبح من الصعب على المحتسبة غير المؤهلين القيام بهذه المهمة الدقيقة، وتحول نظام الحسبة أخيرا من اسداء النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي أمور دينيه الى نظام دقيق للمراقبه والمحاسبة والتفتيش يتطلب الخبرة والمعرفة والفهم في الأمور الدنيوية، كما يحتاج المحتسب الى لوائح وقوانين ومراجع ونظم توضح له نطاق عمله وتحدد بدقه طبيعة المهن ومقتضيات ممارستها والأمور الفنيه المختلفة لهذه المهن والصنائع، وهكذا أصبح بعض المختصين يدونون البيانات ويرتبونها فصولا متسلسلة بحيث تصبح في يد المحتسب دليلا وتوجيهات يستطيع أن يرجع اليها كلما أشكل عليه أمر.

ومن هذه المؤلفات نذكر «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» تأليف عبد الرحمن بن نصر الشيزري وغيره وفيها يذكر ما يجب أن يكون عليه المحتسب» يجب أن يكون المحتسب رجلا عفيفا خيرا ورعا عالما غنيا نبيلا، عارفا بالأمر محنكا فطنا لا يميل ولا يرتشي فتسقط هيبته ويستخف منه ويتوبخ معه المقدم له . . . (رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبه).

وقد عددت الكثير من المهن التي تتبع لمراقبة المحتسبه منها الحبابون والدقاقون والخبازون والقصابون والعطارون والصيادلة والصباغون والأطباء والكحالون والمجبرون والجرائحيون وغيرهم مما بلغ أربعين مهنة.

وفي الحسبة على الصيادلة حسب الشيزري «ينبغي على المحتسب أن يخوفهم ويغطهم وينذرهم بالعقوبة والتعزير. فمن غشوتهم المشهورة أنهم يغشون الأفيون المصرى بشياف ماميتا ويغشونه أيضا بعصارة ورق الخس البري، وقد يغشون الطباشير بالعظام المحروقة بالاتاتين، ومعرفة غشها أنها اذا طرحت في الماء رسب العظم وطفا الطباشير، وقد يغشون اللبان الذكر بالقلفونيه والصمغ . . . وقد يغشون الشمع بشحم المعز والقلفونية».

ومن الحسبه المشهورين سنان بن ثابت بن قره ـ الذي كان يمتحن الصيادلة والأطباء والكحالين والجرائيين والمحبرين حسب أختصاص كل فئة بكتب جالينوس وحنين بن اسحاق وغيرها.

المستشفيات الاسلامية ـ البيمارستانات :

لم تكن المستشفيات معروفه في العصور القديمة ـ فعند أستعراضنا للحضارات القديمة المختلفة لم نلحظ وجود مكان مخصص لمعالجة المرضى وبيات البعض منهم فالمعالجة كانت غالباما تتم من قبل كهنه قبطيين أو سحره مشعوذيين وخصص قسم من المعبد لاجراء هذه المعالجات التي كان قوامها السحر والرقي والتعاويذ أكثر منها المعالجه بالمادة الطبية، ومثال ذلك ما نراه في حضارة مصر القديمة في ما دعي بيت الحياة (بيرعنخ) وفي الحضارة الأغريقية كانت المعابد التي يتصدرها تمثال اسكولاب هي اماكن المعالجة وذلك قبل أن يأتى ابو قراط.

وبعد ابوقراط وفي الحضارة الرومانية التي ورثت الحضارة الأغريقية لم نعثر على أى دليل يبين وجود أماكن تشابه المستشفيات بعملها وتنظيمها وحجمها وعدد العاملين فيها وتنوع أختصاصاتها، وقد رأينا في صدر الاسلام أيام غزوات رسول الله (ﷺ) ـ كيف قامت السيدتان العربيتان رفيده الأسلميه وأم عطيه الانصارية باسعاف الجرحى والمصابين، فالخيمة التي نصبت لرفيده الاسلمية في غزوة الخندق بجوار خيمة رسول الله (ﷺ) ـ هذه الخيمة التي يمكن اعتبارها بمثابة مستشفى ميدانى صغير، ونرى مثيلا لهذه المستويات من الرعاية للجرحى في المعارك في الحضارة الرومانية التي عنيت كثيرا بالجانب الجراحي من العلم الطبي.

وكلمة بيمارستان كلمة مركبه بأصل فارسي تعني دار المرضى ـ حيث بيمار بمعنى مريض، ستان بمعنى دار، ولعل الأصل الفارسي لهذه الكلمة ينبثق من أول بيمارستان أنشىء تحت هذا الأسم في بلاد فارس في مدينة جندى سابور، وعند الفتح الإسلامي لبلاد فارس أخذ المسلمون ذلك عن الفرس ولاننسى أن الكثيرين ممن عملوا في البلاد الإسلامية أطباء وممارسين للمهن الطبية الأخرى أتوا من جندى سابور، ويقال أن أول بيمارستان أنشىء في الدولة الإسلامية كان أيام الوليد بن عبد الملك، وقد تميز نوعان من المستشفيات في الدولة الإسلامية: نوع ثابت وآخر متحرك محمول على الجمال ـ وسنشرح هذا النوع بعد أن نعرض البيمارستانات الثابته.

على الرغم مما يذكر من أن أول بيمارستان أنشىء في الديار الإسلامية هو في عهد الوليد بن عبد الملك وذلك في دمشق عاصمة الأمويين ـ فإن البيمارستانات الشهيرة والتي ذاع صيتها وبقيت آثارها فترة طويلة من الزمن أتت في فترة أزدهار الحضارة الإسلامية العربية أى بدءا من العصر العباسي حيث نجدها وقد أنتشرت في حواضر الدولة الإسلامية في بغداد ودمشق والقاهرة والري وتونس وغيرها.

تنظيم العمل في البيمارستانات:

يمكن أن نقسم المراحل التي تعرضت لها البيمارستانات الى ذات المراحل التي نجدها في حياة الدولة الإسلامية الكبيرة، فالفترة الأولى كانت انشائية ـ حيث شرع في بناء البيمارستانات منذ العصر الأول للدولة الإسلامية وبلغت البيمارستانات أوجها من

حيث العدد والتجهيز والكفاءة في فترة ازدهار الحضارة الإسلامية العربية ثم أنحدرت بتقهقر هذه الحضارة وضعف الدولة الإسلامية العربية حتى تحولت البيمارستانات مع قلة الرعاية والدعم المالي والمعنوى الى بيوت للمجانين كانت تدعى مارستانات حيث هجرها المرضى ولم يبق بها إلا المجانين.

كان العمل في البيمارستانات منظما الى حد كبير ويشبه في كثير من نواحيه أرقى المستشفيات الحديثة، وكانت تقسم الى قسمين متناظرين أحدهما للمرضى والآخر للمريضات، وكل قسم يحتوى على عدد من القاعات حسب نوع المرضى ـ فقاعات الأمراض الباطنه مقسمه الى أقسام ـ منها قسم المحمومين وهم المصابون بالحمى وقسم للمحرورين (المصابين بالجنون) وقسم المبرودين (المصابين بالتخمه) والأمراض المعدية والمعوية ـ وهنالك قاعةأو أكثر للجراحه وقاعة للتجبير وأخرى لأمراض العيون (للكحاله)، كما أن هنالك قسم خاص لصرف الأدوية يعمل به الصيادلة وغالباما يعرف باسم شرابخانه.

ويقوم بالعمل في هذه الأقسام الأطباء المتخصصون في فروع الطب المختلفة كالباطنيون، والجرائحيون، والمجبرون والكحالون والمطيبون للجنون والصيادلة وغيرهم، ويرأس كل مجموعة من هؤلاء المختصين رئيس يكون الحكم في مجموعته، وهو الذي يأذن لهم بالعمل ويوزع عليهم الأعباء ـ فهنالك رئيس للأطباء ورئيس للجرائحين ورئيس للكحالة أو شيخ للصيادلة ويدعى «مهتار» ويخدم كل قسم عدد من الخدم والعاملين في النظافة وممن يقومون بالتمريض الذين يشرفون على خدمة المرضى وعلى أطعامهم وتقديم العلاج لهم.

وقد أتبع في البيمارستانات نظام المرور على المرضى لتفقد أحوالهم المرضيه ومتابعة حالاتهم ـ حيث يمر رئيس الأطباء وبصحبته الأطباء حيث يقوم باعطاء الأوامر بكل ما يحتاجه المريض من دواء وغذاء وعناية طبيه.

أما النظام المتبع في فحص المرضى فهو أن يتخذ الطبيب مكانه على دكه مرتفعه في قاعة التشخيص ويتحلق حوله مساعدوه وطلبته حيث يقوم بفحص المرضى لتشخيص الداء مستعينا بالأعراض الواضحة على جسم المريض وعلى كلام المريض، وقد يقتضي

الأمر الاطلاع على بول المريض الذي يأتى به المريض في قاروره زجاجية (أنظر بعض الحالات التي أوردها الرازى في كتابه الحاوى)، وقد ذكر ابن ابي اصيبعه طريقة فحص المرضى الخارجيين «أن الطبيب كان يجلس على دكة ويكتب لمن يرد عليه من المرضى للعلاج أوراقا يعتمد عليها، ويأخذون بها الأدوية والأشربه من البيمارستانات».

ومن أقسام البيمارستانات الهامة خزانة شراب (شرابخانه) أو الصيدليه ـ يعمل بها عدد من الصيادلة يرأسهم شيخ صيادله البيمارستانات وتحتوى على خزائن بها العديد من الأدوية بأشكالها كالأشربه والمعاجين والمراهين والسفوف وغيرها.

وكان الأطباء يتناوبون العمل في البيمارستانات بما يماثل لما هو معروف الآن بورديات العمل وكانوا يبيتون عند المرضى ليلا يرعون شأنهم.

ولم تقتصر البيمارستانات على دورها في المعالجه والتطبيب فقط ـ بل كانت مستشفيات جامعية بحق كانت بمثابة نظام مكتمل للتدريب والتدريس في العلوم الطبيه المختلفة، وذلك عن طريق التحاق الطلبة بالأطباء وبصوره خاصة رئيس الأطباء حيث يرافقونه في فحص المرضى وتشخيص دائهم وفي الزيارات للمرضى، كما كانت تعقد اجتماعات علمية موسعه لدراسة الحالات المرضية وبصوره خاصة تلك المعقدة منها حيث يجلس الطبيب المختص مع معاونيه في صدر قاعة الاجتماع ويحضر كتب الاشتغال (المراجع الطبية) من خزائن موجوده في القاعه، ويجرى المباحث الطبيه ويقرىء التلاميذ ولايزال معهم في مباحثه ونظر في الكتب ساعات قبل أن يركب الى داره.

وكانت البيمارستانات تحظى بدعم من الخلفاء والسيلاطين والأمراء والوزراء حيث غالبا ماكانت تنشأ بأمر من ولي الأمر وتحت رعايته ويتابع ولي الأمر العمل فيها وكانت تقرر لها الأوقاف التي تدر المال للصرف عليها وجهزت بكل ما تحتاجه من أدوات ومواد ولحف وفرش وأسرة والطعام والشراب، وعادة ماكنت البساتين ممتده بجوار البيمارستان وتابعة له، كما يلحق بالبيمارستان حمامات والى جواره مسجد بسعة مناسبه، وفي الغالب فان للبيمارستان ناظر يشرف على إدارة الأموال والأوقاف التابعه له، وكان هذا المنصب من المناصب الهامه في الدوله والتي يحرص عليه القوم، وقد بلغ عدد الأطباء في أحد هذه البيمارستانات ثمان وعشرون طبيبا.

ومن البيمارستانات المشهورة في الدولة الإسلامية: